

التحويلات المعرفية للنظرية العرفانية: قراءة في آليات الانتقال

The Cognitive Transformations of Cognitive Theory: A Reading of the Mechanisms of Transition

أ.د.الرحموني بومناقش

Pr. Arrahmouni Boumengach

مخبر الجماليات في الدراسات الأدبية والنقدية

جامعة محمد لامين دباغين سطيف 2، الجزائر

boumengach@gmail.com

إيمان جربية⁽¹⁾

Imane Djeriba

مخبر الجماليات في الدراسات الأدبية والنقدية

جامعة محمد لامين دباغين سطيف 2، الجزائر

Imanedjraiba@gmail.com

ملخص

معلومات حول المقال

تاريخ الاستلام 2025-11-24

تاريخ القبول 2026-05-13

الكلمات المفتاحية

النظرية العرفانية
اللغة

النشاط الذهني

الإدراك

الفهم والإنتاج

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مفاهيم النظرية العرفانية، وتحديد الأسس العلمية والمعرفية التي أسست لإنبثاقها، والكشف عن الروافد المعرفية التي شيدتها، من خلال البحث عن موقع اللغة فيها بما هي نشاط ذهني يعكس التجربة الجسدية في شكل بني تصويرية تتمثل العالم وتحقق إدراكا به. واستقصاء آليات التحليل التي تنقل الدراسة من البحث اللغوي إلى تحليل أعمق يمسّ الفهم والإنتاج ويتجاوز التخصص الواحد مركزا على قضايا الذهن والذاكرة والذكاء الإنساني. حيث كشفت الدراسة عن وجود نظرية عرفانية متكاملة الأطر والمعالم ضاربة في عمق الفلسفة العقلية وما أثمرته نتائج العلم في مختلف المجالات، فكانت بذلك مقارنة تتمثل الحداثة وما يبررها من تطور في الوسائل والإجراءات، ولما كانت اللغة وسيلة العلم في تحري فرضياته واستخلاص نتائجه، تحولت إلى موضوع بحث مستقل في العلوم الإنسانية، ونافذة على عمليات الذهن وآليات اشتغاله، ففهم اللغة هو فهم للعقل نفسه ومفتاح لفهم آليات الإدراك ومنه فهم الإنسان والعالم.

مقدمة

إلى العرفاني، الذي يتخذ من اللغة آلية للإدراك ووسيطا بين الذهن والواقع. ينتقل من نسق معرفي إلى إنتاج نسق معرفي آخر.

وعليه نطرح مجموعة من الأسئلة شكّلت إشكالية الدراسة وتمفصلاتها المنهجية مفادها: ماهي النظرية العرفانية؟ وما الخلفيات الإبيستيمولوجية التي مهدت لها وما الظروف المعرفية التي لفظتها؟ وكيف إنتقلنا من اللغة إلى الذهن وماهي المسوّغات المعرفية لهذا الإنتقال؟ وما مدى إستيعاب العربي لهذا الوافد الجديد؟

1- إبيستيمولوجيا العرفانيات

1-1- مشروعية الانتقال من العلوم العرفانية إلى

النظرية العرفانية

تعدّ العلوم العرفانية The Cognitive sciences المنبع

تشكّلت النظرية العرفانية في ظل تطوّر العلوم التكنولوجية ومحاولات الإنسان في اختراع آلة تحاكي الدماغ البشري وتبحث في ميكانيزماته الداخلية، فهي تسعى إلى البحث عن التفاعل بين قدرات الكائن الحي وبنيته الثقافية والاجتماعية، ضمن مقارنة معرفية تتجاوز التفسير اللساني إلى فهم أعمق يجعل من اللغة عالما للثقافة، وفعلا إدراكيا تتمثل به العالم وننتج به تصوّراتنا وأفكارنا.

تمخّضت الممارسة العرفانية عن تراكمات إبيستيمولوجية لفظها الوعي المعرفي بمخرجات الدرس اللغوي والنقدي عبر مساره الطويل، والسؤال والتّحاور مع اللغة بالتأمل في تركيبها الصّعبة. والتي إستدعت دراسة شمولية تتداخل فيها مختلف التخصصات. لتكون بذلك مقارنة معرفية بينية لها أسسها وآلياتها تخرج بالتحليل اللساني والجمالي

وعملياته الذّهنية، وقضايا الذاكرة والدّماغ. خصوصاً مع التعرف على المادّة في العلوم الفيزيائية وجسم الإنسان في البيولوجيا، فمحاولة التّعرف على الدّهن البشري تطلّبت الإستعانة بعدّة تخصصات كعلم النّفس المعرفي والعلوم العصبية، والإعلام الآلي. ونشير إلى أنّ كل هذه العلوم والتّخصصات لها نفس الهدف والمتمثل في تحديد الطرائق التي نكتسب بها المعرفة ونوظفها في البحث وكيف نستغل هذه القدرات للتّطور البشري.

فالعلوم المعرفية «ظهرت في أوائل الخمسينيات ضمن سياق علمي يطبعه بزوغ المعلوماتية وتقنيات المعالجة الصورية للمعلومات والأفكار والمفاهيم، وهذه المفاهيم تشكل رزمة من برامج البحث ذات التخصصات المتنوعة التي تحكمها ممارسات وفرضيات جوهرية ومرجعيات نظرية ومنهجية مشتركة تنصهر كلها في إطار البراديغم⁽²⁾ المعرفي le paradigme «cognitif» (أحراشو، 2018)، حيث تبحث في مختلف القدرات والكفاءات الذّهنية الإنسانية من تفكير وإدراك، ووعي وإنفعال، وتحليل مهما كان صاحبها طفلاً أو راشداً عاقلاً أو مجنوناً، والتّصورات الذّهنية وفضاءاتها المتنوعة. ومنها النّشاط اللّغوي وكيفية اشتغاله وعلاقته بالنّشاط الذّهن للإنسان ورؤيته وتصوراته للعالم.

إنّ اللّغة بوصفها خاصيّة إنسانية مركبة ومعقدة «لها خصوصيتها في تكوين التّصورات النّظرية عن العالم في حد ذاتها، وعن الكلام، وعن اشتغال عملية الفهم التي تعدّ نشاطاً ذهنيّاً في أساسها وعن المعرفة كيف تتكون» (الباهي، دط)، وبما أنّ اللّسانيات تُعرف على أنّها العلم الذي يدرس اللّغة، وباعتبار هذه الأخيرة سلطان الإنسان وسرّ آدميته، وبها يتحرى عن حيرته ويطرح السؤال ويُفسّر الظواهر ويفهم ويأول، فهي جهاز معرفيّ يُنظم التّفكير ويوجه الفهم، ووسيلة للمعرفة تستخدمها كل المعارف الإنسانية والعلمية. وبالتالي نحتاج للتّعامل معها إلى تظافر مجموعة من المعارف والعلوم. وهذا ما حاولت النظرية العرفانية إستثماره لفهم الذهن البشري ونشاطه اللغوي، وأخذ نتائج البحث اللّغوي في المقاربات الأدبية والنّقديّة وبخاصّة فكرة تداخل

الحقيقي الذي إنبثقت عنه النّظرية العرفانية، وهي نسق علمي جديد ظهر في أمريكا، يتأسس على دراسة بينيّة interdisciplinaire للدّكاء والعقل، تتظافر فيها عدّة تخصصات منها الفلسفة وعلم النّفس، والدّكاء الإصطناعي وعلم الأعصاب، واللّسانيات والأنثروبولوجيا، في بناء المعرفة والتّصورات الذّهنية، والنّشاط اللّغوي. وكيفية اشتغاله مع النّشاط الذّهن للإنسان ورؤيته للعالم.

إرتبط ظهوره بما شهده العالم من إبتكار معلوماتي خاصّة تطورات الحاسوب وظهور البرمجيات الحاسوبية، ومحاولة العلم الإستقلال عن الفلسفة التي هيمنت عليه قروناً طويلة، وبالتالي البحث عن آليات جديدة تُطور من العلم. وهذا ما أدّى إلى خلق وإبتكار آلة تُضاهي في عملها عمل الذكاء البشري / العقل البشري بتركيبته المعقدة وبكل ما يحمله من قدرات. ومن أجل إنجاح هذا الإبتكار الذي سيسهل على الإنسان حياته، إن لزم الأمر تتظافر كل العلوم والتخصصات وتتقارب من بعضها البعض لبلوغ هذه الغاية.

كما كان للسيبرنيطيقا⁽¹⁾ Cybernetique دور مهم أيضاً في التّفكير اللّغوي المعاصر، فهي تبحث في نظم التسيير والضبط والتواصل البشري والآلي. وتضم مجموعة من العلوم كعلم الهندسة الإلكترونيّة والمنطق وعلم وظائف الأعضاء. وتجمع هذه التخصصات علاقة تعاون. يقول الأزهر الزناد «تقوم السيبرنيتية على مبحث ذي أساس فيزيولوجي في ما به يمكن للكائن الحي أن يحفظ نفسه في محيط خارجي، بما فيه من تغيرات ومخاطر، وفي ما به يكون تفاعلياً معها» (الزناد، 2010) فهي تحاول فهم اشتغال العقل البشري حيث إنطلقت من فكرة العودة إلى الحاسوب ورصد كيفية عمله وتتبع عملياته للوصول إلى أنموذج لعمل الدّماغ البشري. وتعتبر السيبرنيطيقا نظرية رياضية نشأت من دراسة منظومات الإدراك والتحكّم. سواء في الآلة أو الكائنات الحيّة، وتهتم بدراسة عمليات الإتصال وتلقي المعلومات وتحويلها وتخزينها وطرق معالجتها وتبادلها.

أصبح البحث في الذّهن البشري صيحة القرن العشرين، وجدل العلم في إكتشاف خباياه والميكانيزمات المشكلة له،

1 السيبرنيطيقا هي " العلم الذي يشرح فيه الفيزيولوجيون للمهندسين كيف يبنون الآلات، ويشرح فيه المهندسون للفيزيولوجيون كيف تسير الحياة" ويعرف أيضاً بأنه العلم الذي يدرس النظريات العامة للتحكم في النظم المختلفة سواء كانت بيولوجية أو تكنولوجية" ينظر: مظفر شعبان وسمير شعبان، السيبرنيتيك فكر مبدع يجسد وحدة الطبيعة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، سوريا، دط، 1991، ص 168.

2 البراديغم paradigm: مفهوم صاغه توماس كون يُقصد به النموذج المعرفي الذي يوجّه نشاط العلماء داخل مجتمع علمي معين.(ينظر كتاب بنية الثورات العلمية لتوماس كون).

التخصّصات.

العرفانية تدرس كيف تعكس اللّغة البنية الذهنية في الواقع.

1-3- نقد البنيوية التقليدية

مثّلت البنيوية التقليدية بمختلف إتجاهات أرضية معرفية صلبة للنظرية العرفانية، حيث استلهمت أفكارها النّظرية وآلياتها الإجرائية في بناء معالمها الأولى، فطوّرت من نتائجها وتجاوزت عثراتها عبر جدلية السؤال والحوار.

فالحديث عن البنيوية يبدأ بالحديث عن المشروع الذي قاده فيرديناند دوسوسير Ferdinand De Saussure إبتداءً من 1916، والذي ركّز على بنية الكلمة، حيث اشتغل على اللّغة بإعتبارها بنية مغلقة تُدرس لذاتها ومن أجل ذاتها بالاعتماد على منهج وصفي آني يُلغي كل الإعتبارات الخارجية، وكسر مبدأ التبعية لمجالات معرفية أخرى كانت مجاورة للدرس اللغوي سابقاً، فاللغة ليست مجرد آلة مادية صوتية؛ بل هي نظام Systeme من العلامات (الدّال Le signifiant/ المدلول Le signifié)، تستمدُّ معناها من علاقاتها الداخليّة لإنشاء معنى مشترك بين أفراد المجتمع. فهو يركز على ماهو اجتماعي لكي يؤدي وظيفة التبليغ/ التخاطب التي وُضع من أجلها. ومنه وضع الحجر الأساس في دراسة اللّغة بإعتبارها نظام مستقل يقوم على العلاقات الداخليّة بين عناصره بعيداً عن الإعتبارات والأسيقة الخارجية، وبناء على هذا الطّرح تشكّلت البنيوية واتّخذت آلياتها الإجرائية على أساس النسق المغلق. تم تجاوز البنيوية التّقليدية في الدّراسات اللغوية مع توجه لساني جديد عُرف بالنّحو التوليدي التّحويلي، كرد فعل قوي على السلوكية والتوزيعية حاول أن يردّ اللّغة إلى العقل الفطري وليس السلوك أو التوزيع، أسس له نعوم تشومسكي Noam Chomsky من خلال كتابه الشّهير: البنيات التركيبية Syntactic Structures» سنة 1957، والذي شكّل ثورة معرفية على الدّراسة العلمية المغلقة للّغة. ورفض الإتجاه السلوكي الذي يزعمه بلومفيلد Bloomfield وأعاد النّظر في النّظريات التي سبقته معتمداً على منهج جديد هو المنهج التوليدي التّحويلي والانتقال من البنيوية الشكلية/ السّطحية إلى تحليل العقل K ومبدأ فطرية اللّغة.

أعاد تشومسكي النّظر في اللّغويات التي سبقته، ورأى أنّها ركّزت على البنية السّطحية التي تعتمد على المستوى الصّوتي للغة، وأهمّلت البنية العميقة التي تمثل شبكة العلاقات النحوية، لذلك فإن الخطأ الذي وقعت فيه البنيوية حسبّه هو إعتقادها على الوصف Description وإهمالها

فالعلوم المعرفية لما اشتغلت على العلوم العصبية والإدراك وغيرها، ساعدتنا بشكل كبير أن نطرح هذه القضايا ونحولها من العلوم المعرفية إلى النظرية العرفانية. ومن ثمة أصبحت موضوع اشتغال فيها.

1-2- أثر علم النفس المعرفي Cognitive Psychology في

العرفانية المعاصرة

نشأ علم النفس المعرفي في كنف الثّورة المعرفية والتّكنولوجية في خمسينيات القرن العشرين، وانبثق من المعرفية وهو فرع من علم النّفس، يركز على مختلف العمليات الذهنية الداخليّة كالإدراك، الإنباه، الذاكرة، التّفكير واللّغة ومشكلات التّعلم والإكتساب. ويسعى لفهم الدّماغ وكيفية معالجته للمعلومات، وكيف يؤثر ذلك على السلوك.

جاء علم النفس المعرفي كردّ فعل على التّيار السلوكي الذي استبعد الجانب الذهني وركّز على السلوك الظاهر والقابل للملاحظة. وبالتالي حاول تقريب علم النّفس من العلوم الطبيعيّة التي تتسم بالموضوعية وتقوم على التجربة. ليعود التفكير في أنّ الإنسان محكوم بعمليات ذهنية توجه سلوكه ومختلف تحركاته، وبالتالي إكتسب علم النفس بُعداً معرفياً وأصبحنا نتحدّث عن «علم النّفس المعرفي» وهو كما يعرفه نيسر Neisser أحد الرّواد البارزين فيه عام 1967 «علم يدرس العمليات التي من خلالها تدخل المعلومات الحسيّة إلى الدّماغ، وكيف يتم تنظيمها وتخزينها، وإستعادتها وإستخدامها في مجالات الحياة اليومية» (عمارة، 2014)، فهو يبحث في كيفية معالجة المعلومات داخل الدّماغ وكيف تصدر عن هذه البنية الذهنية سلوكات الإنسان، ويعرفه سولسو Solso 1988 بقوله: «العلم الذي يدرس ذاكرة الإنسان والعمليات المتضمّنة في إكتساب المعلومات واسترجاعها» (عمارة، محاضرات في علم النفس المعرفي، 2014)، من خلال هذه التعاريف التي قُدّمت لعلم النّفس المعرفي نلاحظ أن موضوعاته تتعلق في كل ما يعتمل في الدّماغ من عمليات حسيّة وذهنيّة.

و بما أنّ النّظرية العرفانية تنظر للغة بإعتبارها آلية عقلية وذهنية، فهي تركز على إرتباطها بمختلف العمليات الذهنية، كالصّور والفهم والتّفكير وبناء المعنى. وبالتالي تستفيد من نتائج علم النّفس المعرفي لفهم كيف يعالج الإنسان اللّغة. فهو يعتبرها واحدة من أهم القُدرات العقلية، والممارسة

لامجرد استجابات آلية، وركز على الوظيفة الإبداعية للغة، حيث ينتج المتكلم اللغة عبر قواعد منظمة تتيح التوليد وتربط بين البنية والدلالة والإبداع.

ومنه شكّلت طروحات تشومسكي في نظريته التوليدية منطلق الدّراسات العرفانية، فهو يتعالق معها في إعرافهما بدور العقل، لكن تختلف التّوليدية في نظرتها للعقل كآلة من القواعد منفصلة عن باقي القُدرات العقلية وهذا موطن القصور الذي تم نقده عرفانياً، في مقابل العرفانية التي ترى في اللّغة جزءاً من النّشاط الذهني. فهي تتداخل مع العمليات الإدراكية وليست عقلاً لغوياً مستقلاً عن باقي القُدرات الدّهنية.

يتبيّن لنا من خلال ماسبق أن النّظرية العرفانية لم تُلفظ إلى الوجود إعتباطاً ولم تنشأ من فراغ معرفي، بل لفظها خلفية إبسنيمولوجية عميقة وتحولات طويلة، فقد مهدت البنيوية الطريق بفكرة النّظر إلى اللّغة كنظام وبنية مغلقة لا تحيلك إلا على ذاتها وعلى معجمها الداخلي، وعمّقت هذا الطّرح السلوكية والتوزيعية باعتمادهما على المنهج الوصفي والدّراسة الشكلية للغة، في حين أبرزت الوظيفية البعد التداولي والاجتماعي للغة.

لتهدم فيما بعد النظرية التوليدية التحويلية مع نعوم تشومسكي وأتباعه هذه الطروحات وتعيد الإعتبار للعقل بوصف اللغة ملكة فطرية، غير أن هذه المدارس البنيوية على اختلافها ظلّت حبيسة تصورات جزئية منفصلة إما بالتركيز على الشكل وإما العقل، وهو ما جعل النظرية العرفانية تتموقع كمرحلة إنتقالية جديدة تتأسس على جدلية القطيعة والإمتداد. فهي تقطع النزعات الشّكلية الصّيقية وتمتد لكل ماهو منفتح على العقل، وكل الملكات الدّهنية التي تنتج اللّغة وتمفصلاتها العقلية من فهم وإدراك وتفكير وتأويل، لتبني مشروعاً معرفياً متكاملًا ينظر للّغة في صورتها العقلية المنفتحة على التصور والتجربة الإنسانية الواسعة.

وهكذا تبرز مشروعية الإنتقال من العلوم العرفانية إلى النظرية العرفانية، بوصفها إستجابة علمية لهذا المكون الإنساني اللّج والمتلف، وإستجابة لحاجة الدّرس اللساني والنقدي في سعيه الدؤوب إلى الإمساك بخبايا اللّغة، بما هي نص وفكر وتعبير عن العالم، إلى مقارنة تزاوج بين المبني اللّغوي والمعنى الدلالي، بين اللّغة والعقل.

التفسير Explication، حيث إنطلق من هذا القصور في بناء نظريته الجديدة التي تقوم على تفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم، والقدرة على توليد عدد لا متناهي من الجمل الجديدة.

فعملية الوصف للجمل المنجزة للفعل التي قام عليها النموذج البنيوي لا يمكنها أن تفسّر عدداً كبيراً من المعطيات اللسانية، فالبنوية عنده « لا تحاول تفسير الكلام بل لا تبحث في مسار عملية التكلم ولا في آلياتها الكامنة ضمن المظهر الإبداعي في إستعمال اللغة، فالمنهج الوصفي التطبيقي لا يفي بالهدف العلمي للدّراسة الألسنية» (زكرياء، 1985)، كما أنها لاتراعي «مبدأي التّوليد والتّحويل، ويقصد بالتوليد Generation، القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لامتناه من الجمل في لغته الأم، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل، وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون الشعور منه بتطبيق قواعد معينة» (مومن، 2005).

أما بالنسبة للتّحويل فهو « القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جمل أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة، والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على المستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى» (حجازي، دت)، فمهمة التّحويل تكمن في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية والرّبط بينهما. فقد نقل الدّرس اللغوي من المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية، بمعنى أنه « قفز باللّسانيات من مرحلة إعتقاد المنهجية التصنيفية إلى مرحلة التأكيد على المنهجية التنظيرية التي تهدف إلى وضع نماذج فرضية تُمكن من وصف المعطيات وتفسيرها والتكهن والتنبؤ بوقوع ظواهر أخرى. وبالرغم من الأهمية العلمية التي اكتسبتها نظرية تشومسكي إلا أنها لم تسلم من النّقد فقد عيب عليها تعويلها المبالغ فيه جداً على الإستبطان الذي يمثله حدس المتكلم، ورفضها الاحتكام إلى لغة الجماعة باعتبارها مصدر القبول النحوي عند الوصفيين» (بوقرة، 2009).

وعليه أصبح يُنظر للغة بتصور جديد، ليس كبنية مُتصورة كما هي عند سوسير ومن تبعوه، فقد تحوّل التّركيز مع النظرية التوليدية التحويلية إلى أنّ اللّغة تمتلك قابلية الوصف الصّوري الرّياضي، ويؤكد تشومسكي وجزد بنيات صورية تولّد عدداً كبيراً من البنيات المقولية. فقد تجاوز التصور السلوكي، مبرزا أن اللّغة أداة للتفكير والتّعبير الحر

2- العرفانية: فلسفة المفهوم

شكّل مفهوم النظرية العرفانية جدلاً واسعاً بين الدارسين وإشكالا معرفيا في حقل الدرس اللساني والنقدي المعاصر، سواء من حيث تعدد دلالاته أو من حيث اختلاف ترجمته ونقله إلى اللغة العربية، فبينما استقر التداول الغربي على مصطلح Cognitive، شهدت الساحة العربية خلطا ومصطلحيا وفوضى ترجمية كبيرة فتارة يترجم بـ «الإدراكية» وتارة «العصبية» و «المعرفية» و «العرفانية»، قبل أن يغلب الإستعمال لمصطلح «العرفانية»، هذا التعدد المصطلحي للمصطلح الواحد نابع عن خلفية معرفية épistémologique تتصل بكيفية فهم العلاقة بين اللغة والعقل والإدراك، وهو ما يجعل ضبط المفهوم وبيان حدوده أساسا لفهم موقع هذا الاتجاه المعرفي المعاصر.

2-1- سؤال المفهوم

2-1-1- لغة

ورد العرفان في معجم لسان العرب لابن منظور بمعنى «العلم؛ قال ابن سيده: وَيَنْفَعِلَانِ بِتَحْدِيدِ لَا يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَكَانِ، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عَرَفَةً وَعَرَفَانًا وَعَرِفَانًا وَمَعْرِفَةً وَأَعْتَرَفَهُ؛ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ يَصِفُ سَحَابًا:

مَرَّتُهُ النَّعَامِي فَلَمْ يَعْتَرِفْ خِلَافَ النَّعَامِي مِنَ الشَّامِ رِيحًا
وَرَجُلٌ عَرُوفٌ: عَارِفٌ يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا يَنْكُرُ أَحَدًا رَأَاهُ مَرَّةً،
وَالهَاءُ فِي عَرُوفِهِ لِلْمِبَالِغَةِ، وَالْعَرِيفُ وَالْعَارِفُ بِمَعْنَى مَثَلُ عَلِيمٍ
وَعَالِمٍ» (منظور، دت)

وورد العرفان في المعجم الوسيط بمعنى: «(عَرَفَ) فلان على القوم- عِرافَةً: دَبَّرَ أَمْرَهُمْ وَقَامَ بِسِيَاسَتِهِمْ. وَ- الشَّيْءَ- عَرَفَانًا، وَعَرِفَانًا، وَمَعْرِفَةً: أَدْرَكَهَ بِحَاسَّةٍ مِنْ حَوَاسِهِ، فَهُوَ عَارِفٌ، وَعَرِيفٌ، وَهُوَ، وَهِيَ عَرُوفٌ، وَهُوَ عَرُوفَةٌ [والتاء للمبالغة]. وَيُقَالُ: لِأَعْرِفَنَّ لَكَ مَا صَنَعْتَ: لِأَجَازِيْنِكَ بِهِ. وَ- لِلأَمْرِ عُرْفًا: صَبْرًا. فَهُوَ عَارِفٌ، وَعَرُوفٌ، عَرُوفَةٌ.» (العربية، 2008)

وورد في تاج العروس للزبيدي: «عَرَفَ يَعْرِفُهُ وَمَعْرِفَةً، وَعَرِفَانًا وَعِرفَةً، وَقَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي: الْمَعْرِفَةُ وَالْعَرِفَانُ، إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ وَيُضَادُّهُ الْإِنْكَارُ وَيُقَالُ فُلَانٌ يَعْرِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا يَقُولُ يَعْلَمُ اللَّهَ» (الزبيدي، 2011)

يتضح لنا من خلال هذا التعريف اللغوي لمصطلح «العرفان» إرتباطه بالإدراك العميق المتصل بالخبرة والتجربة الحياتية، وهذا ما يعكسه اشتقاق الكلمة من لفظ عارف وعريف

وعروف، فهي كلها تحمل دلالات الوعي العميق التابع من التفكّر والتدبر في الأمر، وهذا يدلّ على مدى أهمية ودقة العرفان في الثقافة العربية إذ تجمع بين جوانب متعددة من الإدراك الحسي والاجتماعي، وهو ما أشار إليه المعجم الوسيط من عِرافة تدبير الأمور وسياستها، فقد إرتبط العرفان بالتنظيم والدقة والفهم وهو بهذا المفهوم المركب يتعد عن المفهوم الكلاسيكي من تلقين وحفظ، إلى مفهوم أعمق يتصل بالإدراك والوعي ما يجعله يتموقع بين اللغة والفكر، ويفتح آفاقا معرفية وفلسفية تجمع بين المعرفة والإدراك الحسي والاجتماعي، وبالتالي يعبر عن فاعلية الإنسان وتجاوره مع محيطه والعالم من حوله.

2-1-2- اصطلاحا

يعرّف توفيق قريرة العرفان بأنه: «القدرة التي للذهن على معالجة المعلومات والتفكير وتخزين المعلومات في الذاكرة واتخاذ القرارات وتنفيذ الأعمال والتحكم في التصورات وتنظيم المدركات؛ وفي هذا السياق تقول «مارغريت ماتلان» [M. Matlin. 1998. 17]: «العرفان أو النشاط الذهني، يضم اكتساب المعارف وتخزينها واستخدامها»؛ وتضيف إلى ذلك أنّ العرفان يضم عينة واسعة من العمليات الذهنية التي تشغلها كل مرة تُستقبل فيها المعلومة أو تُخزّن أو تُحول أو تُستخدم» (قريرة، 2011)، ومنه يرتبط العرفان بمختلف القدرات الذهنية من إستقبال للمعلومات، وتخزين وتحويل واستخدام. والتي يكون مصدرها الدماغ.

وهو أيضا «المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا العقل ولا بفضل التجربة وهذا مالا نجده عند اللسانيين العرفنيين، والذين يرون بأن الوصول إلى هذه الحقيقة لا يكون إلا بالاعتماد على العقل والاستدلال والبرهان، ومن هنا فاللسانيات العرفنية تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفنية، حيث يتظافر فيها الذهن والذكاء مع العلوم الأخرى، الفلسفة وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلوم الأعصاب واللسانيات والأنثروبولوجيا» (عماري، 2019)، نلاحظ أن مفهوم العرفانية هنا يقوم على التمييز الدقيق بين المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية المباشرة، وبين المفهوم العرفاني الذي يجعل من العقل والاستدلال ومختلف العمليات الذهنية الأساس الذي تقوم عليه الدراسة، وبالتالي تخرج اللدغة من إطارها التعبيري / التواصلي الضيق، إلى مُركب معقد وبنية معرفية

مسارات مقارنة الخطاب الأدبي من بنىوية أحادية تُقضي الخارج النَّصي من مشاغلها، إلى نظريات المابعد التي فتحت النَّص على الأسيقة الخارجية وقالت بتعددية المعنى ولا نهائية الدلالة، ومن لسانيات مغلقة لا تخرج عن التفسير والوصف إلى لسانيات توليدية تحويلية إنحرف بها تشومسكي عن التحليل الاستقرائي وتبني مقولات التفسير والاستنباط. بالإعتماد على القوام الذهني الذي يجعل من اللغة قادرة على توليد عدد لا متناه من الجمل، دون الإلتفات للمعنى، والقول بفطرية اللُّغة الموجودة غريزيا في الذَّهن، وصولا لعرفانية تسعى لفهم نظام اللسان البشري داخل الدماغ، وكيفية إنتاج اللُّغة وفهم الدلالة واعتمالها داخله وتفاعلها مع باقي الملكات الذهنية.

ومع تطور العلم سعى الإنسان إلى تطوير أدواته في فهم العالم وتحركاته، وسبر أغوار العقل البشري عن طريق التجربة، والبحث في مختلف العلوم من فيزياء ورياضيات، وعلوم الأعصاب والحاسوب، وعليه ظهرت فكرة تداخل التخصصات أو ما يعرف بالبينية. التي تداخلت فيها العلوم لفهم الدماغ البشري ومختلف نشاطاته الذهنية. من علم النفس والفلسفة، والذكاء الإصطناعي والأنثروبولوجيا، واللسانيات. وجمعت تحت تسمية واحدة «العلوم المعرفية»، ومن هنا ظهرت العرفانية كتيار معرفي شمولي.

فالنظرية العرفانية تيار حديث النَّشأة يعود إلى «1987 سنة صدور كتاب كل من لايكوف (1987) ولانفاكر (1987)، ومقال طالبي (1988)، وقد صاحب هذا التأسيس المعرفي العلمي بعثُ جمعية اللسانيات العرفانية العالمية سنة (1989) ومجلتها اللسانيات العرفانية سنة (1990) وذلك بعد عقد تقريبا من بعث مجلة العلوم العرفانية (1977) وتأسيس جمعية العلوم العرفانية بأمريكا (1979). وإلى هؤلاء ينضاف الكثير من الأعلام الذين يسهم بعضهم في توسيع دائرة الدرس اللساني العرفاني ويسهم بعضهم في ترسيخه بالتأليف التبسيطي في شكل دروس (تايلور 1996-2002). ومنذ ذلك الزمن ما انفكت جمعيات لسانية عرفانية محلية أو وطنية، تتأسس في بلدان كثيرة أغلبها أوروبي « (الزناد، 2010).

إنطلق الرواد الأوائل من أفكار تشومسكي في التحو التوليدي التحويلي وتوسيعها، فهم يرون أنّ اللُّغة ليست مجرد نظام من العلامات المستقلة، بل هي مرتبطة بآليات التفكير والإدراك. ولا يتحقق فهمها إلا من خلال ربطها بالقدرات

عميقة، تحتاج استثمار وتظافر مختلف العلوم من فلسفة وذكاء اصطناعي وعلم نفس وغيرها.

والعرفانية «تعني عملية المعالجة التي تتم داخل المخ باعتباره آلة عرفان تدخله المعرفة، ثم يقوم بمعالجته فيخرج ناتج هذه العملية في شكل معلومات يقدمها للمتلقى في عبارة كلامية أو نتائج حسابية أو غيرها، إنها تعني عملية الفهم التي تحدث في المخ بكل متعلقاتها من آلة عرفان إلى مادة معرفية إلى معلومات ناتجة عن عمل آلة العرفان -المخ-» (زكري، 2020)، فالعرفانية من هذا المنظور عملية تتم داخل المخ باعتبار آلة للمعرفة والإدراك. وبالتالي فإن الدماغ هو المسؤول عن إنتاج اللُّغة، والفهم وهو الذي يُترجم ويحوّل كل المُدخلات المعرفية إلى معلومات منظمة في صور كلامية أو نتائج حسابية.

فالمقاربة العرفانية ليست مجرد دراسة شكلية أو صوتية للُّغة. بل هي دراسة للعمليات الذهنية المنتجة لها. بوصفها آلية عقلية ليست هي التي تتيح الفهم أو التمثيل. فإن كل هذه الأنشطة هي بفعل الدماغ واللُّغة نشاط منه تعمل كوسيط للتأثير والتفكير والفهم والتأويل، وهي لوحدها عاجزة عن الفهم والتفكير دون العودة إلى العقل.

إنّ النظر إلى الدماغ كآلة في المقاربة العرفانية هو من مخرجات الموجة التكنولوجية، والعلمية والثورة السيبرنيطيقية، والذكاء الإصطناعي. والتي حاولت أن تصنع آلة تحاكي الدماغ البشري لفهم مكوناته، ومختلف ميكانيزماته. وذلك أيضا بالإعتماد على العلوم العصبية التي تبحث في تشكّل الدماغ وكيفية اشتغاله من الداخل، من استقبال وتخزين، وتحويل للمعلومات.

فقد استثمرت النظرية العرفانية مختلف العلوم المعرفية لمقاربة اللُّغة. وتحويل الدراسة من البنية الصوتية والشكلية والنفسية إلى البنية الذهنية. فهي مصطلح حديث يقصد به ذلك التيار الذي تطوّر في ثمانينات القرن الماضي من الولايات المتحدة الأمريكية، وشاع استعماله في القرن العشرين نتيجة إهتمام عدد من اللسانيين بالبحث في علاقة اللغة بالذهن. وقد حظي هذا التيار باهتمام بالغ خاصة مع بروز كتابات مؤسسيه الأوائل مع جورج لايكوف George Lakoff ومارك جونسون Mark Johnson وكتابهما الاستعارات التي نحيا بها.

3-نشأة وتطور العرفانيات

تسارع توالد النظريات البنىوية في القرن العشرين، تغيّرت بها

الرموز الصورية عديمة المعنى.

وفي اللسانيات التوليدية: فكرة إمكانية تخصيص نحو اللغة على نحو كاف من خلال القواعد التي تعالج الرموز الصورية عديمة المعنى. وفي معالجة المعلومات السيكلوجية: فكرة أنّ الذهن جهاز لمعالجة المعلومات، حيث تؤخذ المعلومات المعالجة كمعالجة لرموز صورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب. كل هذه المجالات تطورت من الفلسفة الصورية. هذه المجالات الأربعة تقاربت في عام 1970 إلى شكل العلم المعرفي من الجيل الأول وكانت رؤية الذهن بوصفه معالجة مجسدة للرموز الصورية عديمة المعنى.

يواصل لايكوف نقده لهذا الوضع وتقديم البديل من خلال ردّه عن سؤال آخر عن كيفية تناسب وجهة النظر هاته مع العلم التجريبي الذي تبنته الممارسة العرفانية، يجيب لايكوف بقوله: «وجهة النظر هذه لم تكن مؤسسة تجريبياً، لقد نشأت من الفلسفة القبلية. ومع ذلك فإنها هيأت البداية لمجالنا. ما كان جيداً عنها هو أنّها كانت مضبوطة. وما كان كارثياً بخصوصها هو ما كان لديها من رؤية فلسفية خفية تنكرت كنتيجة علمية. وإذا ما قبلت هذا الموقف الفلسفي، فكل النتائج التي لا تتفق مع هذه الفلسفة يمكن إعتبارها هراء. بالنسبة للباحثين الذين تكونوا ضمن هذا التقليد، كان العلم المعرفي في دراسته للذهن ضمن هذا الموقف الفلسفي القبلي. تم تكوين الجيل الأول من العلماء المعرفيين للتفكير بهذه الطريقة (...) من هذا المنظور، يمكن للدماغ أن يكون مجرد أداة لتنفيذ العقل المجرد. وفق وجهة النظر هذه لا ينشأ الذهن ولا يتشكل من قبل الدماغ (...) لم تكن هذه نتائج تجريبية. ولكنها تتبع بدلا من ذلك الافتراضات الفلسفية. وكانت منتصف السبعينات، الفترة التي أعطى أخيراً للعلم المعرفي إسمها ورغب فيه المجتمع والصحافة ...

يمكن إستيضاح معالم الجيل الثاني للعلم المعرفي وظروف إنبثاقه من خلال ردّ لايكوف على سؤال يتصل أيضا بالظروف التي نشأت فيها اللسانيات المعرفية (كما دعا إليها) وكيف تطوّرت إنطلاقاً من تجربته الشخصية المبكرة، باعتباره أحد المؤسسين والمنظرين لهذا الفرع الجديد، يقول لايكوف: «كان عملي المبكر بالفعل بين عامي 1963 و 1975، عندما كنت من أتباع النظرية التوليدية، خلال تلك الفترة حاولت توحيد النحو التوحولي لتشومسكي مع المنطق الصوري وكنت قد ساعدت في العمل في وقت مبكر على الكثير من التفاصيل

الذهنية الأخرى. كالاستيعاب والتّصور والذكاء والذاكرة، وبهذا المنظور توسّعت الدّراسات العرفانية لتتفتح على كل أنماط التفكير المختلفة. والتي تعكسها البنية اللغوية. ومع مرور الزمن توسعت الأفكار العرفانية لتنتشر في مختلف السّاحات العلمية، والمعرفية الغربية. من أمريكا وصولاً إلى أوروبا.

وما لبثت حتى وجدت طريقاً للعالم العربي بفعل عامل التّرجمة ولقيت إهتماماً عند الدّارسين العرب أمثال: عبد الرحمان طعمة والأزهر الزّناد، ومحمد الصالح البوعمراني وعفاف موقو، وغيرهم من الباحثين العرب الذين حالوا نقل هذا الوافد الجديد تنظيراً وتطبيقاً محتشماً.

يشير لايكوف إلى أنّ العرفانيات مرّت في نشأتها بطورين أساسيين هما (الجيل الأوّل) و(الجيل الثاني)، وذلك من خلال حوار أجراه مع جون بروكمان «Brockman John»؛ إذ طرح عليه سؤالاً بصيغة: «أتميّز العلم المعرفي عن الفلسفة؟» أي ما يميّز العلم المعرفي عن الفلسفة. وسنحاول تلخيص هذا الحوار وفقاً لما ورد في كتاب الإستعارة التّصورية وتحليل الخطاب لعمر بن دحمان.

جاء الردّ عن السؤال تأسيساً لأهم ما مرّت به المقاربة العرفانية، حيث سننقل أهم ما ورد فيه. ردّ لايكوف قائلاً: «هذا سؤال مهم وعميق (...) والسبب في أن ليس للسؤال جواب بسيط، أنّ هناك شكلين من العلم المعرفي، أحدهما صيغ بناء على إفتراضات الفلسفة الأنجلو-أمريكية، والآخر (...) مستقل عن الإفتراضات الفلسفية المخصوصة التي تقيد نتائج البحث. العلم المعرفي المبكر، وهو ما أسميه العلم المعرفي من الجيل الأوّل» (أو «العلم المعرفي غير المتجسّد»)، الذي صمم ليناسب الإصدار الصورانية للفلسفة الأنجلو-أمريكية، أي أنّها أخذت الإفتراضات الفلسفية التي تقيد الأجزاء الهامة لمحتوى «النتائج العلمية (...) والمقترح كان هكذا: يمكن دراسة الذهن من خلال وظائفه المعرفية - أي من خلال الوظائف التي يؤديها- بشكل مستقل عن الدماغ والجسد. والعمليات التي يؤديها الذهن يمكن أن تتمذج على نحو كاف عن طريق معالجة رموز صورية عديمة المعنى. كما هو الحال في برنامج الحاسوب هذا البرنامج الفلسفي يناسب النماذج التي كانت سائدة في ذلك الوقت في عدد من التّخصصات، في الفلسفة الصورية فكرة إمكانية تخصيص الذهن على نحو كاف باستخدام المنطق الرمزي، الذي يستخدم معالجة

روادها الأوائل منصباً على الكيفية التي يفكر بها الكائن البشري والدور الذي تلعبه اللغة في المعرفة... والأعمال التي ضمها هذا الإطار الجديد إنبنت على نموذج بحوث الجيل الثاني للسانيات المعرفية، وعلى مفهوم الذهن المتجسد. ويمكننا أن نعثر في الوقت الحالي على إتجاهين كبيرين ضمن هذه المقاربة الجديدة للعلوم المعرفية؛ يهتم أحدهما أكثر بكيفية كون الفكر متجسداً، بينما يهتم الآخر بالترابطات المعرفية والإندماجات الحاصلة على الساحة الذهنية.» (دحمان، 2015).

ومن خلال ماسبق وما أورده عمر بن دحمان في كتابه نظرية الاستعارة التصورية وتحليل الخطاب لحوار لايكوف مع جون بروكمان، وهو حوار تأسيسي للعرفانية، حيث مرت بمرحلتين أساسيتين مرحلة تمهيدية تستند على الإتجاهات الوظيفية والنحو التوليدي خاصة، الذي أقصى المعنى والخبرة الإنسانية لصالح البنية الصورية، وبالتالي تبلورت أطروحاتها حول «العقل المتجسد» مستفيدة من معطيات علم النفس المعرفي والعلم التجريبي. والمرحلة التأسيسية التي تجسدت مع لايكوف ومارك جونسون في الثمانينات، حيث إنعطف بالدرس العرفاني نحو دراسة العلاقة بين اللغة والإدراك والعقل، ويوظف آليات جديدة أضحت فيها الاستعارة آلية تصويرية تنظم الإدراك وتشكل بنية الفكر.

تشكّلت مخاضات النظرية العرفانية الحقيقية بداية من سبعينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية امتداداً للنحو التوليدي التحويلي، لتبدأ بعدها مرحلة ثانية توسّعت فيها أفكارها وانتشرت مباحثها كعلم معرفي مستقل في أمريكا أولاً ثم الشمال الأوروبي ثانياً. وتوسّعت دائرة المشتغلين بها من أوروبيين أمثال «جيل فوكونيي Gilles Fauconnier» وأمريكيين أمثال «مارك تورنر Mark Turner» ومارك جونسون وMark Johnson، وعليه فإن للعرفانيات شقان هما: «الشق الأوروبي والشق الأمريكي، فقد غلب على المؤلفات الإنجليزية التأثر بالشق الأمريكي، بينما يغلب على المؤلفات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة الشق الأوروبي» (الزناد، نظريات لسانية عرفانية، 2010)

4- موقع اللغة في الممارسة العرفانية ومبررات الانتقال من اللغة إلى الذهن

شكّلت الدراسة العرفانية نُقْلة معرفية في الدرس والتحليل اللغوي والنقدي، فقد كانت اللغة هي أساس الدراسة

في النظرية النحوية لتشومسكي. ثم ادّعى نوام ولا يزال حتى هذه اللحظة، أستطيع القول، أنّ التركيب مستقل عن كل من المعنى، السياق، والمعرفة الخلفية، والذاكرة، والمعالجة المعرفية، والقصد التّواصلي، وكل مظاهر الجسد (...). في عام 1975، أصبحت ملما ببعض النتائج الأساسية من العلوم المعرفية المختلفة المتجهة نحو نظرية تجسد الذهن - مثل الفز يولوجية العصبية لرؤية الألوان، ومقولات النماذج الأساسية والمستوى الأساسي، وعمل تالمي Talmy، على تصورات العلاقات الفضائية ودلالة الإطار لفيلمور Fillmore هذه النتائج أفنعتني بأنّ التوجه الكامل للبحث في اللسانيات التوليدية والمنطق الصوري التوليدي كان مئوساً منه، وقصدت برفقة لان تالمي، ورون لانفاكر، وجيل فوكوني، لتشكيل لسانيات جديدة - متوافقة مع البحث في العلوم المعرفية وعلم الخلايا العصبية. سميت اللسانيات المعرفية، وإنها مشروع علمي مزدهر. وفي سنة 1978، اكتشفت أنّ الإستعارة ليست نوعاً مقصوراً على الإستخدام المجازي في الشعر. وإنّما هي آلية أساسية من آليات الذهن. وفي سنة 1979 زار مارك جونسون قسم الفلسفة في بيركلي وبدأنا العمل على التّفصيل وتضميناتها الفلسفية ...

نستنتج من هذه الرّدود التي أوردنا للايكوف على طولها أهم الأفكار الجديدة التي ستلعب دوراً بارزاً في التنظير للإستعارة من وجهة نظر معرفية معاصرة، هذه الأفكار يمكن حوصلتها في النقاط الأساسية الآتية:

- التأسيس التجريبي من التجربة
- أطروحة الذهن المتجسد والمعرفة المتجسدة كبديل عن المعرفة الصورية والمحسوبة.
- مركزية الإستعارة كآلية أساسية من آليات إشتغال الذهن البشري.

ويواصل الباحث قوله أنه بعد ثلاثين سنة من إنشاء العلم المعرفي، بدأ نموذج لغوي جديد في الإنبثاق، أي هذا النموذج الجديد من التحقّق بأنّ اللغة هي إستعارية على نطاق واسع وأنّ الإستعارة تلعب دوراً رئيسياً في كيفية تفكير الكائن البشري (لايكوف وجونسون 1980). سميت هذه المقاربة الجديدة باللسانيات المعرفية، ولكنها لم تكن من نفس نوع المقاربة اللغوية التي إستخدمها نعوم تشومسكي وتلامذته في معهد MIT. وتأسس هذا النوع الجديد من اللسانيات المعرفية على الجيل الثاني من العلم المعرفي، وكان إهتمام

فالتيار العرفاني مجال تصوّري يبحث في الذهن البشري وكل ما يتعلق بالعقل، وكيفية إنتاج اللغة واستعمالها وكل ما يتعلق بالذكاء والإدراك والتخيّل. فالنظام اللغوي بالنسبة لنا هو نظام واسط؛ بمعنى أن اللغة وسط نفهم من خلاله العالم ووسط نتوسطه به وهي وسط للتأثير مثلها مثل ملامح الوجه واللباس حتى؛ إذ يتمثل دورها في « الترميز باستحضار الصّور المعرفية، وفي تشكيل مفهومنا للواقع، وفي تطويع قدرتنا على التفكير، والتخطيط عبر خاصيتها الوحيدة المتمثلة في السّماح بتنظيمات لا متناهية من الرموز، ومن ثمة الخلق الذهني للعوالم الممكنة» (ن.فندلز، 2007)، وعليه فوظيفة اللغة لا تقتصر على التعبير والتواصل فقط، بل تتعداها إلى معرفة أسرار الدماغ البشري عبر التّصور والتّمثّل، وكل ما يتعلق بالعمليات الذهنية التي تمكننا من الاستيعاب والفهم والإدراك.

ذلك أنّ عملية إنتاج اللغة عملية معقدة تقوم على العديد من العمليات الذهنية المعرفية المتضافرة فيما بينها، وبالتالي نجد أن الممارسة العرفانية قد تجاوزت « بنية اللغة الشكلية لتخترق أعماق صورها الإدراكية التي تتمثل في عقل الإنسان حينما يجسّد ألفاظ المفاهيم المجردة» (التميمي، 2013)، فهي بذلك تقوم على التّصور والتّمثّل. تركّز على الإدراك والتّمثّلات الذهنية، بحيث يختار المتكلم وحدات معجمية يعبر بها عن تصوّراته الذهنية ثم يصدر أصواتاً لغوية، وينتج بهذا تمثيلاً لغوياً أساسه الفعل الحركي وهذا ما يؤكد عليه راي جاكندوف Ray Jackndoff.

وبالتالي فإنّ النظرية العرفانية في دراستها للغة تقوم أساساً على التّصور الذهني K والإدراكي إضافة إلى عمليات أخرى خاصّة بالجسد كالسمع والبصر وغيرها، فاللغة لا يمكن أن ننظر إليها كملكه ذهنية مستقلة عن باقي العمليات الذهنية. وإنما هي آلية عقلية تتعالق معها مختلف القدرات الذهنية المختلفة، من إدراك وسمع وبصر.. فلا يمكن دراسة اللغة بعيداً عن الذهن البشري وبمعزل عن تجسيد الإنسان.

هذا الطّرح العرفاني هو رفض لمقولة أن « اللغة فطرية غريزية يولد بها الإنسان» التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي لنعوم تشومسكي والتي يقَرّ فيها بأن اللغة نظام مستقل داخل العقل يولد بها الإنسان في صورة نحو كلي Universal Grammar، فهي من المنظور العرفاني قدرة معرفية موجودة في الدماغ البشري تتشابك مع الملكات المعرفية الأخرى، وهو

والبحث وتعدّد مسألها من أهم قضايا الدّراسات الإنسانية بوصفها أداة المعرفة. وهذا مآرضه الإتجاه العرفاني الجديد وبخاصّة ماجاء في النظرية التوليدية التحويلية الصّورية التي سيطرت على البحث في علم التركيب في شمال أمريكا، والمقاربة الصّورية الحاسوبية لعلم الدلالة التي سادت شمال أمريكا وأوروبا طيلة النصف الثاني من القرن العشرين، وبالتالي تغيير مسار ومنهج الدّراسة، خاصة على مستوى تحليل المعنى وأصبحنا نطرح تصورات وأسئلة من قبيل: «كيف يفكر الكائن البشري؟ وكيف يتمثّل الوجود من حوله؟ وكيف يموقله؟ بل أيضاً: كيف يتكلم؟ وكيف يمارس الإبداع عبر اللغة؟ فأست لذلك لرؤية جديدة تحكم علاقة العرفان باللغة، بمستوييها المفتوح والمغلق، وعلاقة الفكر بالإبداع والخيال والمعنى عموماً» (البوعمراني، 2009)، فقد أفرز هذا التيار المعرفي مفاهيم ونظريات جديدة تتداخل فيها مختلف التخصصات المعرفية. التي تهدف إلى الحفر في دواخل الذهن البشري، وكيفية اشتغاله وقدراته من فهم وإدراك وتفكير وتنسيق، وتخزين وتفسير، وتحويل للمعلومات.

يُركز التوجه العرفاني على العمليات الذهنية الجارية في الدماغ البشري، والتي «تعدّ اللغة فيها عملية من هذه العمليات الإدراكية ومادّة للتحليل العرفاني، فهي تعيد الإعتبار «للمعاملات العقلية الداخليّة» (طه، 2006) وهي بذلك تضع اللغة آلية الإستغلال ومحور الدّراسة. يتم التركيز فيها على القدرات الذهنية للدماغ الذي يقوم بمعالجة المعلومات، وتحويلها ودراسة العلاقة التفاعلية بين اللغة والعقل وب« كيفية معالجة البشر للعالم ورؤيتهم إياه وبنائهم لحقيقته، وذلك باعتبار هؤلاء البشر ذوات مُدركة لها عدّة وسائل، واللغة جزء منها فقط للاتصال بمحيطها، وادركه، والتفاعل معه، والإنفعال به، واللغة مهمة في ذلك لأنها تعبر عن هذا الإتصال وتخبرنا بتفاصيله» (جونسون، 2009). فالتركز على الذهن بالنظر إلى أننا نمتلك جهازاً ذهنياً، يستطيع أن يؤوّل العالم ويكتشف كل المعطيات المحيطة بنا، ذلك أن النظام الذهني نظام تمثيلي بإمكانه أن يمثل لنا كل الأشياء التي تُعايش بعضها في العالم، فمحيطنا اللغوي عبارة عن تصوّرات وتمثّلات نستطيع إدراكها على مستوى أقوى، وبالتالي فإنّ التّصورات التي نريد أن نُشكلها وبنينا، لا توجد في النظام اللغوي بقدر ماتوجد في الذهن، وموطنها الأصلي الذهن.

من خلال إسقاط أنماطنا الإدراكية المجسدة عليه ولا ندركه كما هو في ذاته.

نتحدث عن أمر آخر يرتبط بالذهن المجسد وهو العالم المسقط Progetid World خاصة عند لايكوف وجونسون، «فوجوب افتراض مستويات لتمثيل الذهني فالمعلومات المنقولة في أفكار كيانات الذهن تتظافر بالمعلومات القادمة إليه من العالم الخارجي عن طريق الحواس، وبدون افتراض هذه المستويات التمثيلية يستحيل أن نقول أننا نستعمل اللغة في وصف احساساتنا وإدراكاتنا وتجاربنا المختلفة بوجه عام» (المجيد، 2000) فالإنسان يكون صوراً ذهنية للعالم حوله بناء على ما عايشه من تجارب حسية وحركية أي ما كونه من خبرة معرفية، وبالتالي فإن العالم المسقط هو التمثيل الذهني الذي يسقطه الذهن على الواقع وعليه نميز بين عالمين إثنين:

-عالم واقعي وهو ما يوجد في الخارج (الواقع المادي المحسوس).
-العالم المسقط وهو العالم الذي يشكّله الإنسان في ذهنه ويعكس فهمه وتجربته الخاصّة.

فالزمن في ذاته ليس بشيء مادي يرى ويُلمس، لكننا نعيش فيه ونفهمه من خلال إسقاطنا لخبرتنا الجسدية الحركية في المكان، فعندما نقول مثلاً «الماضي وراءنا» أو «المستقبل أمامنا» «العطلة قادمة» «الأيام تمشي بسرعة» نحن لا نصف الزمن كما هو، بل نصفه كما لو كان مسافة مكانية نتحرك فيها فعندما نقول: «وقف شامخاً» فجسد الإنسان يكون في وضعية مرتفعة مرفوع الرأس. أما الإسقاط نجد حالات كثيرة حسب فهم كل إنسان وتصوره مثل الفرح، السعادة، الفخر ربما، فاللغة لا تنقل الواقع كما هو بل تنقل واقعا مسقطا متشابكا مع إدراكنا وفهمنا وتصوّراتنا التي نبنينا حول العالم والواقع الذي نعيش فيه، ومع تجاربنا الحياتية. نجد هذه الفكرة تتعالق مع فكرة فلسفية نجدها في نظرية المعرفة لاسيما مع إيمانويل كانط عن كيفية تشكيل المعرفة للعالم عبر العمليات الذهنية، تستثمر اللسانيات العرفانية هذه الفكرة وتطبقها نسقيا على اللغة.

يمكننا أن نرى أهمية العالم المُسقط في تعبيراتنا التفسيرية والرمزية، حيث تعبّر اللغة عن مختلف العواطف والمكونات الداخلية الموجودة في العالم المادي المحسوس. وتُسقطها على العالم المسقط عبر ماتنيه وتكوّنه عنها في الذهن، وبالتالي فإن اللغة ملكة ذهنية يمكنها إستيعاب كل ما في العالم

ما يجعل « تبني المنظور المعرفي في معالجة اللغة وفق تكامل المستويات، وتفاعل المسارات: لسانيا ومعرفيا، هو في العمق تساؤل حول مجموع المعارف اللسانية التي يمتلكها العقل الإنساني بموجب إحتوائه ملكة اللغة، وعن المسارات الذهنية التي يتم تفعيلها أثناء إكتساب الوقائع والكيانات اللغوية وإنجازها على حدّ سواء، فهما وتمثلا، تذكّرا وإسترجاعا وإستعمالا ... ومحاولة نمذجتها وتقييمها أيضا» (بوعناني، 2013)، فاللغة ليست بجهاز مستقل، بل نتاج تفاعل العقل والجسد مع الخبرة الحياتية، وبالتالي فاللغة تُبنى بالتدرج عبر الإدراك والتصور والإستعارة إضافة إلى التفاعل الإجتماعي. تتعامل المقاربة العرفانية مع اللغة إضافة إلى مبدأ التعميم والمبدأ المعرفي بمبدأ الذهن المجسد Embodied Mind والذي يقول بأن العقل ليس بألة مستقلة عن الجسد، بل كل عمليات التفكير والإدراك واللغة تنبثق من خبرتنا الجسدية الحسية - الحركية، فعندما نقول مثلا « القوة فوق» والضعف تحت» فهذا نابع من خبرة الجسد في الحياة فعندما يكون الإنسان قويا سعيدا يكون منتصبا ويقف شامخا. أما في حالة ضعفه وحرزته فنجد منحنيا نحو الأسفل. اللغة إمتداد طبيعي لأليات الإدراك الجسدي والعقلي وليست بجهاز فطري مستقل، فالطفل لا يولد بالتحو كما قال تشومسكي، بل إنّه يبني أنظّمته اللغوية إنطلاقا من تفاعله مع العالم، وتجسيد خبراته في تراكيب وإستعارات.

إنّ دراسة الذهن بما فيه اللغوي لا تتم بمعزل عن التجسيد البشري فعملية التفكير تكون نتيجة لتصوراتنا حول العالم وتجربتنا المعاشة فيه، هذا التوجه يختلف جذريا عن النظريات السابقة التي تتعامل مع اللغة كنسق مجرد مثلها مقل الرموز والعمليات الرياضية والمنطقية وقواعد صورية بعيدة عن التجربة الحياتية، فالعرفانية أعادت النظر للتفاعل الحيوي بين الجسد والدماغ والواقع الإجتماعي، هذا التفاعل الذهني والجسدي مع البيئة هو الذي يشكل التصورات والمفاهيم وعلى أساسه يتم إنتاج اللغة، وبالتالي ففهم اللغة ينطلق أساسا من إدراك كيفية استخدام الجسد في الحياة اليومية لبناء المعاني، فهي تعكس الطريفة التي يعيش بها الإنسان في جسده، وبذلك يتداخل الذهن المجسد مع المعرفة المجسدة؛ أي أن طريقة تفكيرنا ولغتنا مرتبطة بخبرتنا الحياتية وتجربتنا الحسية والحركية. إذن المعنى مرتبط بكيفية نعيش العالم جسديا فنحن ندرك هذا العالم

أما من الجانب اللغوي فقد مثّل النحو التوليدي التحويلي المرحلة الأساسية في تبلور هذا الاتجاه في مرحلتها التأسيسية، إضافة إلى الحاسوبيات التي تم من خلالها التعرف على آلية الاشتغال التي يؤديها الذهن البشري.

جمعت الممارسة العرفانية عديد التخصصات في مقاربتها للغة ومحاولة فهمها لها، فأفرزت مفاهيم جديدة أحدثت طفرة نوعية في الدرس اللغوي والنقدي المعاصر إنتقلت به من اللّغة إلى الذّهن من التفسير السطحي إلى عمق العقل من خلال الفهم والإنتاج.

أصبحت اللغة ضمن المقاربة العرفانية مادة التحليل العرفاني وآلية عقلية من آليات الدّماغ البشري. تتعالق مع مختلف القدرات الذّهنية كالإدراك والبصر والسّمع، والخبرة الحياتية، فتوسعت وظيفتها من أداة للتعبير والتّواصل إلى ملكة عقلية تعيد تجسيد الواقع وإنتاج العالم وفهمه. وفقا للتصورات والمدرجات الذّهنية التي يشكّلها الإنسان في عقله.

الخارجي من تحركات ومشاعرن وأفكار وتصوّرات فهي نتاج لتصورات الإنسان المجسّدة والذهنية.

هي اللّغة تعيد ترتيبنا للعالم تعيد تشكيله عبر فلسفة حياتية تعيد إنتاجهن وفقاً لما فهمناه واستوعبناه، هذا ما تداركته اللّسانيات العرفانية وهي تتحرى فرضياتها وتطرح أسئلتها حول الدّس اللّغوي ومآلاته وآفاقه، لتجعل من اللغة تجربة ذهنية تتجسد في الواقع وتُشكّل المعنى إنطلاقاً من الحوار المفتوح والجدل الفعّال الذي تتفاعل فيه كل الملكات العقلية والذّهنية مع العالم.

خاتمة

تشكّلت النظرية العرفانية ضمن محاضن معرفية متعدّدة التّخصصات والاتجاهات، تشترك كلّها في محاولة فهم العقل ونشاطات الدّماغ البشري.

تعتبر العلوم المعرفية المنبع المعرفي الذي انبثقت عنه النظرية العرفانية واستثمرت نتائجه في التنظير لآلياتها ومبادئها،

المراجع

5. ابن منظور جمال الدين بن مكرم، (دت)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ط1، مصر: دار المعارف، ج:4، مادة (ع ر ف).
6. الزبيدي المرتضى، (2011)، تاج العروس، دط، الجزائر: دار الأبحاث.
7. مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، باب العين، ص 594-595.
8. الباهي، حسان، (2012)، الذّكاء الإصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، دط، المغرب: دار إفريقيا الشرق.
9. البوعمراني، محمد الصالح، (2009)، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني، ط1، تونس: دار نهى.
10. التميمي، جنّان، (2013)، الزمن في اللغة العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني (دراسة لسانية إدراكية)، ط1، جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسة اللغة العربية وأدائها.
11. الزناد، الأزهر، (2010)، نظريات لسانية عرفانية، ط1، لبنان: الدار العربية للعلوم، ناشرون.
12. بن دحمان عمر، (2015)، نظرية الإستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، ط1، مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع.
13. بوعناني، مصطفى، (2013)، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث.
14. بوقرة، نعمان، (2009)، اللّسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، دط، الأردن: عالم الكتب الحديث.
15. حجازي، محمود فهد، (دت)، مدخل إلى علم اللغة، مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
16. شعبان، مظفر، شعبان، سمير، (1991)، السيبرنيتيك فكر مبدع يجسد وحدة الطبيعة، دط، سوريا: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.
17. قريرة، توفيق، (2011)، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية مقارنة نحوية عرفانية، ط1، تونس: مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع .
18. مومن، أحمد، (2005)، اللّسانيات النشأة والتطور، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
19. ميشال، زكرياء، (1985)، الألسنية، علم اللّغة الحديث قراءات تمهيدية، ط2، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع.

20. جاكندوف، راي، تشومسكي، نعوم، ن فندلر، (2007)، دلالة اللّغة وتصميمها، ط1، تر: غاليم محمد، الرّحالي محمد، جحفة عبد المجيد، المغرب: دار توبقال للنشر.
21. لايكوف، جورج، جونسون، مارك، (2009)، الإستعارات التي نحيا بها، ط2، تر: عبد المجيد جحفة، المغرب: دار توبقال للنشر.
22. زكري، نوال، (2020)، الإستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللّسانيات العرفانية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب.
23. أحراشو، الغالي، (2018)، العلوم المعرفية: من مخاض التعريف والتأسيس إلى رهان التطبيق والإستثمار، المجلة العربية نفسانيات، ع59.
24. طه محمد، آفاق جديدة في دراسة العقل، (2006)، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مجلد 35.
25. عماري، عز الدين وآخرون، (2019)، مفاهيم لسانية عرفانية، الجزائر، مجلة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، المجلد 03.
26. بن عمارة سمية، (2014)، محاضرات في مقياس علم النفس المعرفي، الجزائر: جامعة قاصدي مرياح ورقلة، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

The Cognitive Transformations of Cognitive Theory: A Reading of the Mechanisms of Transition

Abstract

This study aims to examine the key concepts of the cognitive Theory, to define the scientific and epistemological foundations that led to its emergence, and to identify the intellectual sources that shaped it. It does so by investigating the status of language within this approach as a mental activity that reflects bodily experience through conceptual structures that represent the world and enable its comprehension. The study also explores the analytical mechanisms that shift inquiry from a purely linguistic investigation to a deeper analytical level that encompasses understanding and production, transcending disciplinary boundaries and focusing on issues related to mind, memory, and human intelligence. The findings reveal the existence of a coherent cognitive theory with well-defined frameworks, firmly rooted in the tradition of rational philosophy and enriched by scientific advancements across various fields. As such, it represents an approach that embodies modernity and its methodological developments. Given that language is the primary tool through which scientific inquiry formulates hypotheses and derives conclusions, it has become an independent object of study within the humanities and a gateway to understanding the operations and mechanisms of the mind. Understanding language therefore becomes tantamount to understanding the mind itself, and a key to grasping the processes of perception, and consequently, understanding both the human being and the world.

Keywords

cognitive Theory
language
mental activity
perception
comprehension and production

Les transformations cognitives de la théorie cognitive : une lecture des mécanismes de transition

Résumé

Cette étude vise à examiner les concepts fondamentaux de la théorie cognitive, à définir les fondements scientifiques et épistémologiques ayant présidé à son émergence, ainsi qu'à mettre en lumière les ressources intellectuelles qui l'ont structurée. Elle s'attache, pour ce faire, à analyser la place qu'y occupe la langue en tant qu'activité mentale reflétant l'expérience corporelle sous forme de structures conceptuelles représentant le monde et rendant possible son appréhension. L'étude explore également les mécanismes analytiques qui déplacent la recherche d'un simple examen linguistique vers une analyse plus profonde touchant à la compréhension et à la production, au-delà du cadre disciplinaire, et centrée sur les questions de l'esprit, de la mémoire et de l'intelligence humaine. Les résultats révèlent l'existence d'une théorie cognitive cohérente, dotée de cadres et de repères bien définis, et solidement ancrée dans la tradition de la philosophie rationaliste, enrichie par les avancées scientifiques dans divers domaines. Elle constitue ainsi une approche qui incarne la modernité et les évolutions méthodologiques qui la caractérisent. La langue, en tant qu'outil essentiel de la recherche scientifique pour formuler ses hypothèses et en dégager les résultats, devient un objet d'étude autonome dans les sciences humaines et une fenêtre ouverte sur les opérations et les mécanismes du mental. Comprendre la langue revient dès lors à comprendre l'esprit lui-même et à saisir les processus de la perception, et par conséquent, à comprendre l'être humain et le monde.

Mots clés

la théorie cognitive
langue
activité mentale
perception
compréhension et production



Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal's copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).

To see a copy of this license, visit:

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف وإذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.

للإطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقاً لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023